**الجامعة المستنصرية**

**كلية الآداب / قسم اللغة العربية**

**استاذ المادة : أ.د. افتخار عناد الكبيسي**

**اسم المادة: أدب عباسي**

**اسم المحاضرة : مظاهر التجديد والتطور في أغراض الشعر العباسي**

**تسلسل المحاضرة:الخامسة**

**المرحلة : الثالثة**

**مظاهر التجديد والتطور في أغراض الشعر العباسي**

ظل شعراء العصرالعباسي ينظمون في الموضوعات القديمة مثل : المديح ، والهجاء ، والرثاء ، وغيرها من الموضوعات التي كان ينظم فيه شعراء العصر الجاهلي والإسلامي ، وبذلك أبقوا الشعر العربي على شخصيته الموروثة ، وقد مضوا يدعمونها دعما بما لاءموا بينها وبين حياتهم العقلية الخصبة واذواقهم المتحضرة المرهفة ، فاذا هي تتجدد من جميع أطرافها تجددا لا يقوم على التفاصل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة ، بل يقوم على التواصل الوثيق .

**أولا / المديح :**

من المعروف أن أن الشاعر الجاهلي والإسلامي كان يرسم في ممدوحه المثالية الخلقية الرفيعة التي تقدرها الجماعة ، وإذا كان مؤثرا في حياة عصره السياسية كأن يكون خليفة او واليا عرض لأعماله ، وللأحداث إذا شارك فيها ، اما إذا كان بطلا يقود الجيوش ضد اعداء الأمة فإنه يصور بطولته وما خاضه من معارك حربية. وقد إضطرمت هذه الغايات للمدحة في العصر العباسي ، إذ نرى الشعراء يعيدون ويبدئون في تصوير المثل الخلقية صورا حية ناطقة ، ويعدو الحصر ما استنبطوه من معان طريفة في السماحة ، والكرم ، والحزم ، والمروءة ، والعفة ، وشرف النفس ، وعلو الهمة ، والشجاعة ، والبأس ، وقد جسموها في الممدوحين تجسيما قويا وأشعلوا جذوتها في النفوس بما رفدوها من عقولهم الخصبة وأخيلتهم البارعة ، وقد مضى الشعراء في مديح الخلفاء والولاة يضيفون الى هذه المثالية مثالية ( الحكم ) وما ينبغي أن يقوم عليه من الأخذ بدستور الشريعة وتقوى الله والعدالة التي لا تصلح حياة الأمة بدونها ، وبذلك كونوا صوتا قويا يهتف في آذان الحكام بما ينبغي أن يكونوا عليه في سلوكهم وسياستهم .

قال أبوالعتاهية في الرشيد :

**وراع يراعي الله في حفظ أمة يدافع عنها الشر غير رقود**

**تجافى عن الدنيا وأيقـن أنهــا مفارقـة ليست بدار خـلود**

ويقول مروان بن أبي حفصة في مطلع قصيدته للمهدي :

**أحيا أميرالمؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها**

لم يصورشعراء العصر العباسي المثالية الخلقية في مدائحهم ، وكذلك المثالية السياسية فحسب ، بل صوروا أيضا الأحداث التي وقعت في عصور الخلفاء وخاصة الفتن والثورات الداخلية وحروب أعداء الدولة من الروم والترك ، وبذلك قامت قصيدة المديح في هذا العصر مقام الصحافة الحديثة ، فهي تسجل الأحداث التي عاصرها الشاعر والأعمال الكبرى التي ينهض بها الخلفاء مما يعطيها قيمة بعيدة ّ إذ تصبح وثائق تاريخية ، ومن أجل ذلك نرى ( الطبري ) في تأريخه يتوقف من حين الى حين لينشد ما نظمه بعض الشعراء في الحادث الذي يرويه ويجلوه جلاء تاما على لسان هؤلاء الشعراء الذين عاصروه . وربما كان أهم ما سجلته صحف المديح في هذا العصر صور الأبطال الذين كانوا يقودون جيوش الأمة ضد أعدائها من الترك والبيزنطينيين ، فقد أشادت إشادة رائعة بكل معركة خاضوها ، وكان الشعراء يتفننون في رسم بطولات القادة الذين يمدحونهم بشكل يشعل الحماس في نفوس جنودهم .

ولم يكتف الشعراء بهذا التصوير ، فقد عنوا بتسجيل كل ما يستطيعون من تفاصيل عن المعارك الحربية ، وبذلك لم تعد قصائدهم مديحا بل أصبحت أيضا تأريخا ، وهو تأريخ كتب شعرا تأريخ الأبطال وأمجادهم الحربية ، وهذه قطعة من تصوير علي بن جبلة لبطولة أبي دلف العجلي قائد المأمون إذ يقول من قصيدة طويلة يصف فيها بعض وقائعه :

**المنايـا فـي مقـانبه والعطايا في ذرا حجره**

**وزحوف في صواهله كصياح الحشر في أمره**

**قدته والموت مكتمن في مذاكيه و مشتـجره**

**فرمـت جيـلوه مـنه يـد طوت المنشور من بطره**

**صاغـك الله أبـا دلـف صيغة في الخلق في خيره**

**كل من في الأرض من عرب بين باديه الى حضره**

**مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره**

وكانت المدحة قديما تشتمل على مقدمات تصف الأطلال وعهود الهوى بها وما يلبث الشاعر أن يستطرد الى وصف الصحراء ناعتا ما يركبه من بعير أو فرس وما يراه فيها من حيوان وحشي ، وقد يعرض لمشهد الصيد وكثيرا ما يضمنها بجانب ذلك حكما توسع مدارك السامع وتبصره بأطراف من سنن الحياة ، وكل ذلك إستبقاه شاعر المدحة في العصر العباسي ولكن مع اضافات كثيرة حتى يلاءم بينه وبين عصره ، وقد نعجب لإستبقاء هؤلاء الشعراء المتحضرين لعناصرالأطلال ورحلة الصحراء، غير انهم إتخذوها رمزا ، أما الأطلال فلحبهم الداثر ، وأما رحلة الصحراء فلرحلة الإنسان في الحياة ، وقد استغلوا ما كان يصحب الأطلال من حنين لذكريات حبهم ومعاهده لايزال يترقرق في أشعارهم من مثل قول مسلم بن الوليد :

**هلا بكيت ظعائنا و حمولا ترك الفؤاد فراقه مخبولا**

**فإذا زجرت القلب زاد وجيبه وإذا حبست الدمع زاد همولا**

**وإذا كتمت جوى الأسى بعث الهوى نفسا يكون على الضمير دليلا**

**واها لأيــــام الصبا وزمانه لــــو كان أمتع بـالمقام قليلا**

وحاول بعض الشعراء أن يترك الحديث عن الأطلال المهجورة الى قصور الحاضرة المأنوسة ، وحينئذ كان لا يسترسل في وصف حنينه على نحو أشجع السلمي إذ يستهل إحدى قصائده بقوله :

**قصر عليه تحية وسلام نشرت عليه جمالها الأيام**

وعلى نحو ما إستبقوا الأطلال وما يتصل بها من حنين يبعث في نفوسهم ، إستبقوا رحلة الصحراء ، وتفننوا في وصف وعوثة طرقها ورياحها الحارة التي تكاد تتوقد ، وكان الشاعر القديم يكثر من وصف نحول بعيره ونوقه لطول الطرق الوعرة وما يصيبها من شدة الكلال والإعياء **،** حتى ليشبههابالأقواس ضمورا وهزالا ، وردد الشاعر العباسي هذا المعنى طويلا محاولة الخلوص الى بعض الأفكار المستحدثة ، من مثل قول أبي الشيص مخاطبا أحد ممدوحيه واصفا نحول نوقه ونحول راكبيها :

**أكل الوجيف** **لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضا على أنقاض**

**ولقد أتتك على الزمان سواخطا فرجعن وهن عنك رواض**

وقد تحول الشاعر العباسي في أحيانا كثيرة من وصف الصحراء ومسالكها وسمومها وحيوانها الى وصف الرياض في الحاضرة ومناظرها البهيجة في الربيع ، ومن خير ما يصور ذلك قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم والتي يستهلها بقوله :

**رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغـدا الثرى في حليه يتكسر**

وإتخذوا أحيانا من وصف السفن ورحلتها في الأنهار صورة مقابلة لرحلة البعيرفي الصحراء مثل قول بشار بن برد في إحدى مدائحه :

**وعذراء لا تجري بلـحم ولا دم قليلة شكوى الأين ملجمة الـدبر**

**إذا ظعنت فيها الفلول تشخصت بفرسانها لا في وعـوث ولا وعـر**

**تلاعـب تيـار البحــور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجر**

وجعلتهم موجة المجون الحادة في العصر يصفون في مقدمات مدائحهم ( الخمر ) احيانا ، واستهل ذلك بشار بن برد ، وتوسع فيه مسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، وأبو العتاهية ، وعنوا على نحو ما عنى الشاعر القديم ببث الحكم في قصائدهم ، وكان قد ترجم كثير من الحكم الفارسية والهندية واليونانية ، فأفادوا من ذلك كله ونثروه في تضاعيف مدائحهم مضيفين اليه من تأملاتهم في الحياة والطباع من مثل قول أبي تمام في فضل المحسود ونقص الحسود:

**وإذا أراد اللـه نشـر فضيلـة طويت أتـاح لها لسان حسود**

**لولا إشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العـود**

وعلى هذا النحو إزدهرت المدحة على لسان الشاعر العباسي وأذاع فيها من ملكاته وما أضافه اليها من عناصر جديدة إستمدها من بيئته الحضارية ومن نفسيته وملكاته العقلية ودفعتهم دقتهم الذهنية الى أن يلاءموا بين مدائحهم وممدوحيهم .